استذكارات عراقية

غـــنجر عبـــود الـــويّـــس..!

عمران السعيدي

من طبيعة عبود الويّس (قصاب القرية) الحديث عن نفسه كثيراً وعن شجاعته في مقهى (عنيزي) وهو المقهى الوحيد في قرية (الدورة) الواقعة بين سكة قطار البصرة وشاطئ جزيرة ام الخنازير الغربي تحدها من الشمال مقبرة صغيرة وتلال غير عالية تسمى ام الطبول، صارت الان مدينة القادسية، ويخترق هذه التلال والمقبرة طريق بغداد . الحلة القديم الذي يحاذي البساتين الزاهية والغنية بالفواكه والورد الجوري والتكي على حيطانها المغطاة بالسعف والعوسج والشوك ونبات العليق البري كي تحميها من عبث اللصوص من الاطفال والكبار والذين ينتظرون حلول الليل ليبدأوا بعبور هذه الحيطان وسرقة ما لذ من فاكهة بين تفاح كوي أو عنب أو برتقال أو مشمش.. كل فاكهة في موسمها، وان لم يكن هناك موسم فاكهة فتراهم يعبرون الحيطان لسرقة فسائل النخيل العالقة في اعلى النخلة (الراكوب أو النغل) في لغة اهل القرية وينزعون منها الجمار الشهي عبر شارع الحلة.
عبود الويس هذا القصاب البسيط (يغبش) كل يوم وسلّة اللحم المقطع حسب العوائل هذا نصف كيلو لبيت فلان وهذا الربع لام فلان وهكذا يوزع ما لديه من اللحم على البيوت واحيانا يفرض الكمية بحياء على بعض النساء اللائي يحترمنه لطيبته ولا يدفعن له سعر اللحم الا نهاية كل اسبوع والكل يعرف ما عليه من دين من دون تسجيل أو ورقة.
عبود هذا اعتاد في اثناء تجواله على حمل خنجر في حزامه يسميه اهالي القرية (عبجاوي) أي المنحني وهو يشبه الخناجر اليمنية، وكان هذا الخنجر مثار سخرية عند الكبار والصغار معا فكان اهالي القرية حين يصفون شخصاً سيئ السلوك مثلا يقولون له: انت اعوج مثل خنجر عبود وكان عبود يدعي الشجاعة مع هذا الخنجر ومع كل حادث أو مواجهة وحتى مع الكلاب كان يسحب هذا الخنجر ويهدد ثم يصرخ (اشتو .. عوذة) .
يذكر (عنيزي) قصة عن شجاعته في مقهى (عنيزي) الذي يزدحم بالفلاحين ومربي الجاموس وهم معظم اهالي القرية وخاصة في ساعات الضحى... يقول عبود:
كنت عائداً ليلة امس وسط المقبرة والجو عاصف وغبار القبور والتلال يكاد يمنع الرؤية واذا بخنزير اسود يطاردني من بين تلك القبور (المنطقة كانت تعج بالخنازير البرية الوحشية) وكان (جاسم المظلوم) جالساً خلفه يسمع حديثه وجاسم هذا من هازلي القرية والساخرين وكان بالمصادفة عائداً بجاموساته ليلاً وشاهد عبود يسحب الخنجر ويهجم على شتلة (شويل) وهو نوع من الشوك الكبير تقلعه الرياح العاصفة ويتحرك وكأنه حيوان أو رجل يتدحرج بسرعة مخيفة.
يستمر عبود بسرد القصة وكان جاسم يضحك وختم قصته بانه مزق جسم الخنزير وتركه بين القبور صريعاً... نهض جاسم وصاح وهو يضحك: عمي الله وكيلكم تره عبود ذبح الشويلة ليلة امس والخنزير غير موجود بالمقبرة وهو موجود بالجزيرة.
نهض عبود خجلاً من هذا الموقف وحمل سلة اللحم الفارغة وعاد إلى الدار.
اضافة إلى هذه الحالة كانت لدى عبود صفة اخرى هي ادعاء القوة وحب الظهور بانه سارق للبساتين ولا يهاب الظلام... ولكنه عكس ذلك كما يعرفه الجميع . فما ان تحدث اية سرقة ويكثر الحديث عنها في المقهى حول البساتين وكانت سرقة حاصل البرتقال من اهم الاحداث يغبش عبود إلى مقهى عنيزي ويجلس على دكة الطين ويسأله: خو ما احد جابني بالطاري؟ " أي هل ذكرني احد حول هذه السرقة...؟ يضحك عنيزي ولا يجيبه .. تتكرر الحالة إلى ان مل صاحب المقهى من عبود وادعاءاته. ففي ليلة ما سرقت بقرة (محمود المهيدي) من قبل لصوص محترفين امثال (شحاذة) وهاجت القرية بكل ما فيها من رجال شجعان وطاردوا اللصوص بين القبور والتلال واجبروهم على ترك البقرة والهروب بانفسهم وسط المزارع والظلام الدامس وعادت البقرة الحلوب (الحمرة) إلى اهلها وفرح الجميع بهذا الحدث.
لكن عبود نهض صباحاً كالعادة وجلس على دكة المقهى يسرد لعنيزي كيف استطاع مطاردة اللصوص بين ساقية وشجرة وتل واطلق عليهم الرصاص وسحب عليهم خنجره (العبجاوي)... وهو لم يخرج من البيت ابداً كما ذكرت ذلك زوجته ساخرة منه لزوجة عنيزي وهما على علاقة طيبة.
ملّ عنيزي من حديث عبود الويّس وطلب منه ان يكف عن الكذب.. صرخ عبود بوجه عنيزي وشتمه لكن عنيزي سحب سطل الماء الفارغ وضرب عبود على رأسه... وهاج عبود غاضباً ثم سحب خنجره وضرب عنيزي ضربة واحدة فوق الحزام وهرب في دروب القرية وهو يصرخ (الحكو عنيزي تره مات...) لكن عنيزي كان جالساً على دكة الطين وهو يضحك ساخراً لان خنجر عبود لم ينل سوى دشداشته ومزقها من فوق الحزام وصارت هذه الحادثة نادرة تتحدث بها القرية لزمن طويل.

الذئـب فـي الاســـاطير الشعبيـة

قاسم مطر التميمي

الخوف من الذئب مستقر في عقلنا الباطن، قديم قدم البشرية ذاتها. فعندما كنا في العصر الحجري القديم نحمل فؤوسنا ورماحنا الحجرية نجوب الغابات والوهاد للقنص والصيد، كنا نهاب الذئب- كان صياداً مثلنا- دون ان نخشاه. فاذا حل بنا الشتاء التحفنا بفروته الدافئة. كنا واياه متشابهين في شكل من الاشكال. فقط كانت (قطعاننا) اكثر عدداً وقطعانه افضل عواءً. ولكن عندما بدأنا نهجر الكهوف ونبني البيوت، نربي الماشية وندجن الحيوان ونقتلع اشجار الغابات صار الذئب عدونا وتحول الى كائن مريب. الخوف من الذئب مستقر في عقلنا الباطن، دون غيره من الضواري والسباع. يقول الجاحظ: (لان هذه السباع القوية؛ الاسد والنمور والببور لا تعرض للناس الا بعد ان تهرم فتعجز عن صيد الوحش، وان لم يكن بها جوع شديد فمر بها انسان لم تعرض له. وليس الذئب كذلك فالذئب اشد مطالبة فان خاف العجز عوى عواء استغاثة فتسامعت الذئاب واقبلت. فليس دون اكل ذلك الانسان شيء). ويعضد راي الجاحظ قول الشاعر:
والضبع العشراء مع ذيخها
شر من اللبوة والنمر
كما ترى الذئب اذا لم يطق
صاح فجادت رسلاً تجري
وللذئب عند العرب اسماء واوصاف فهو السيد والسرحان والقسال واويس، ويكنى ايضاً بـ (ام عامر) ولام عامر هذه حكاية تروى؛ تدور حول راع من الاعراب كان يسوق ماشيته في البادية طلباً للكلأ والعشب ومورد الماء اذ عثر على (ام عامر) وكانت ذئبة جريحة اصابها سهم في وركها فظلت تنزف حتى اشرفت على الموت، فأشفق الراعي عليها وداوى جرحها واطعمها من لبن شياهه وبقي الى جوارها حتى تماثلت للشفاء وكان لا بد لأم عامر من ان ترد الجميل ولكن على طريقتها الخاصة وطبيعتها التي فطرت عليها. والغدر من طبيعتها، فكان اول ما فعلته ان وثبت على احدى شياهه فافترستها، فقال شاعرهم:
لا تصنع المعروف في غير اهله
تلاقي الذي لاقى مجير ام عامر
ومن الاساطير التي يروبها الاعراب عن الذئب انه ينام باحدى عينيه ويترك الاخرى تحرسه، فقال شاعرهم:
ينام باحدى مقلتيه ويتقي
المنايا بأخرى فهو يقظان هاجع
ولم يتورع صانعو الاساطير عن ان يجعلوا الذئب يتكلم بلسان عربي فصيح، فذكروا ان ذئباً عدا على شاة فأخذها فطلبها الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه فقال: الا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله الي، فقال الراعي يا عجبي ذئب يكلمني كلام الانس!...فقال الذئب: الا اخبرك بأعجب من ذلك ...الى آخر الحكاية الطريفة. وجعلوا الذئب ايضاً يأنس للانام ويتعايش مع الانعام. فروى الجاحظ عن رجل يقال له جسر القصاب. قال: " كنت احلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئباً فحسبتها كلاباً ولم اكن رأيت الكلاب قبل ذلك فقلت يا راع ما ترجو بهذه الكلاب كلها؟ فقال يا بني انها ليست كلاباً انما هي ذئاب فقلت سبحان الله ذئاب في غنم لا تضرها! فقال؛ يا بني اذا صلح الرأس فليس على الجسد باس.
وعلى العموم فان الاسطورة العربية كثيراً ما تصنع لتجسد معنى من المعاني الشريفة ترسم صوراً مشرقة للعدل واخرى مفزعة للظلم وليست الاسطورة الاغريقية كذلك. الاسطورة الاغريقية غارقة في الخيال...الذئب فيها ليس الذئب الذي نعرفه؛ ذاك الذي يتربص بالماعز والاغنام فيفترس هذه او تلك في غفلة من الراعي، فاذا نبحته الكلاب فر خائفاً مذعوراً. فالاسطورة الاغريقية تتحدث عن الذئب العملاق فنرير بن لوكي **Fenrir Lokis** الذي عمد الى تحطيم كل السلاسل والاغلال ومد ظله الهائل ليحجب قرص الشمس فتسبح الارض ومن عليها في ظلام دامس. ثم ان فنرير الذئب قتل اودين **odin** ابو الآلهة بصفعة عنيفة من كفه دمرت كل ما بين السماء والارض.
ولولا الذئب ما وجد الرومان القدماء؛ رومولوس **Romulus** مؤسس المدينة الخالدة (روما) وشقيقته التوأم ريمو **Remus** قد تربيا في حضن ذئبة وترعرعا في كنفها، وهذا هو النصف الحسن من صورة الذئب في اذهاننا، النصف الذي يرمز للانوثة والامومة ولكن لا يرمز لاختيار الحسن. وفي اللغة اللاتينية يطلق على الذئبة والمومس اسم (لوبا) الام الربوب لحياة السكر والعربدة والشهوات.
ورسخ في اعتقاد الاوربيين خلال القرون الوسطى ان الذئب كلب الشيطاني الجهنمي، رسول الظلام، المسخ الذي يأكل الوحل، وان له انفاساً ساخنة حتى ان لحم فريسته ينضج بفعلها قبل ان يلتهمها. واذا حدث ان شذ شخص ما في قرية او مدينة عن المألوف ربما كان طفلا مصروعاً او رجلاً مصاباً بشلل تشنجي علموا ساعتها ان الذئب يتقمص فروة الحمل. وعذبوا الاطفال حتى اعترفوا ان الذئب يتقمصهم ثم احرقوهم كونهم افراخ الشيطان.

من المحرر

الخزين الشعبي

طرأت على مجتمعنا منذ اكثر من ٣٥ عاماً تغيرات متعددة في العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية، وذلك امر لا بد ان يحدث بين حين وآخر في كل مجتمع، ولكن باتجاه التغيير نحو الايجاب، ومن الواضح ان مزيداً من السوداوية في السلوك قد افرزتها الام السنوات الماضية التي سبقت يوم ٩ نيسان ٢٠٠٣، والمزيد من الافرازات السلبية قد ظهر بعد هذا التاريخ برغم جو الحرية الذي تمتع به العراقي لاول مرة لكنها حرية لاتزال مشوبة بالترقب والحذر ومخاتلة الزمن للوصول الى بر الامان والسلام الاجتماعي.
ان هذه السنوات الطويلة قد افرزت نمواً لعادات واضمحلالا لأخرى كما افرزت مصطلحات شعبية جديدة دخلت اللغة العامية لاسباب واسباب منها: جولة- العلاس- البريكي -ابو الزيتوني-ايده والتقرير- اجفتك بامه (كناية عن التقرير الحزبي) -هذي فرصتك- جابر يا جابر ما دريت بكربلاء اشعار (تؤدي تحولاً من صفتها الحسينية الى حدث دخول الكويت المأساوي حيث كربلاء هنا كناية عن العراق)- علي بابا- اشطح (الفاظ لجنود الاحتلال) - وغير ذلك كثير. وازدادت اشكال الامثال الشعبية تغيراً واضافة مما لا يتسع المجال له هنا كما تغيرت ازياء ولحى الرجال وقصات شعورهم مراراً وتغيرت معها ازياء النساء والمرجو هنا من باحثي التراث الشعبي والثقافة الشعبية متابعة هذه التغيرات ورصدها او تدوينها اضافة الى تدوين الاغاني ووصفها. و (الردات) الشعبية في التظاهرات والمسيرات والاحتفالات بانواعها لان كل ذلك يشكل خزيناً معرفياً شعبياً له دلالاته ايجابية كانت ام سلبية وهو امر يستحق الدراسة والتحليل دائماً.

مكتبة

علم سياسة الخيل

تأليف: ابن بكتوت الرماح

نشر هذا الكتاب مخطوطاً دون تحقيق في مدينة الرياض عام ١٩٨٦ من قبل ادارة مهرجان الجنادرية وهو دراسة في احوال الخيل وانواعها وامراضها وعلاجاتها وطرق ترويضها ، الفه عبد الرحمن بن بكتوت خازن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري سلطان مصر ايام المماليك.
الرياض- ١٩٨٦

موسوعة الاساطير والرموز الفرعونية

تأليف: روبير جاك تيبو
ترجمة: فاطمة عبد الله محمود

صدر مؤخراً في القاهرة كتاب "موسوعة الاساطير والرموز الفرعونية "لعالم المصريات الفرنسي" روبير جاك تيبو وترجمة الاستاذة فاطمة عبد الله محمود ومراجعة د. محمود ماهر طه.
يقول د. محمود ماهر طه على سبيل تقديم هذا الكتاب المهم "عبر الاف السنين" وعلى مدى عصور موغلة في القدم تأخذنا معها موسوعة الرموز والاساطير الفرعونية (الى عالم مفعم بالاساطير المبهرة والرموز السرية السحرية، وكذلك الحقائق الفعلية!! ها هنا بحث نادر شيق، غير مسبوق كانت تفتقر اليه مكتبتنا العربية".
ويضيف: وفيما يتعلق بالاساطير التي انبعثت منها الحضارة المصرية العريقة تأخذنا الموسوعة معها لتعرفنا بشخصية ابي فيس الحقيقية: فتقول لنا ان ثعبانا عملاق لا يقل طوله عن خمسة وخمسون متراً!! وكان هدفه الاساس خاصة انه يرمز الى الخواء التي تهدد الضياء والنور ان يدمر موكب رع اله الشمس اثناء جولته اليومية ولكن القط الاعظم ابن الالهة باستت سرعان ما يطيح برأس هذا الوحش الرهيب، لتمر مراكب (رع) آمنة بسلام وهكذا يتكرر الصراع يومياً لينتهي دائما بهزيمة ابي فيس ثعبان الظلمات. وهكذا يستمر الصراع الأزلي بين قوى الشر والفناء وقوى الخير والنماء والتي تنتهي دائماً بانتصار الخير فتشرق الشمس وينبت الزرع ويحيا البشر.
وتولي الموسوعة اهتماماً خاصاً باسطورة وديانة (اوزيريس) فتبدأ بسرد اسطورته وكيف انه اول من حكم مصر القديمة وكيف ادت غيرة شقيقة (ست) وطمعه في العرش، الى ان يدبر لمقتله بخديعة ليستولي عل عرش مصر بدلاً منه ويتضح لنا من خلال الموسوعة كيف بدأ تقديس العجل "ابيس" والذي استعان بجلده الاله الشرير "ست " في صنع كفن يدثر به جثمان شقيقه الطيب الخير (اوزيريس) مما ادى الى ان يقدس العجل (لابيس) كحيوان خاص باوزريس ثم رمزاً واخيراً الى ان يكون هو روح ازوريس.
وتوضح لنا الموسوعة نظرة المصري القديم الى بلده فتقول: كانت مصر بمثابة القصر الخاص بروح بتاح وقلعة (اتوم رع الحصينة) والبلد الذي يصبو اليه قلبه ولم تكن مصر مركزاً للارض قاطبة بل كانت هي الارض نفسها فان اسمها يؤكد ذلك "كمت" حتى تعرف جميع الشعوب ذلك وعلى مدى آلاف السنين اعتبرت مصر الام المرشدة للعالم بأسره انها من توجه اليها اكثر من (هروب الى مصر) سواء كان طبيعياً ام رمزياً ام ثقافياً ام مسارياً وضمن الكثير من اللاجئين الى مصر يذكر : ديموكريت، هيرودوت، افلاطون، فيثاغورس، والانبياء: ابراهيم ويوسف وموسى والمسيح.
اصدار المجلس الاعلى للثقافة- القاهرة -٢٠٠٥

الحكايات الخرافية

تأليف: هيرمان هسه
ترجمة: اسامة اسبر

الهوس الالماني بالحكاية امتد منذ فيلاند (م ١٧٣٣) مروراً بهيردر حتى غوته حيث تجدها حكايات حكمة وفلسفة ثم تلاه هيرمان هسه الذي شغف بالحكايات الجرمانية واعاد انتاجها بين ١٩٣٠-١٩٥٠ متأثراً بالحكايات الشرقية عموماً والبوذية خصوصاً حيث حكاياته (القرن- اغسطس- حلم الة الفلوت-ساكن الغابة...الخ) مزج بين الاحلام والحقيقة بحثاً عن السلام الداخلي للانسان.
اصدار: نينوى-دمشق ٢٠٠١

شخصيات فولكلورية

د.اكـــرم فـــاضل

زياد مسعود

ولد الدكتور اكرم فاضل في مدينة الموصل عام ١٩٢٥ وهو الابن الثاني للسيد فاضل الصيدلي وشقيقه الاكبر هو القاص الباحث اللغوي والسفير عبد الحق فاضل.
درس اكرم فاضل في مدارس الموصل وعين معلما في مدارس اربيل الابتدائية وعمره عشرون عاما ثم ترك التعليم منذ رحل إلى بغداد باحثا عن وظيفة اخرى عام ١٩٤٧ حيث عين مستخدما في احدى دوائر وزارة المالية لكنه دخل كلية الحقوق في العام نفسه ليتخرج فيها في القسم المسائي عام ١٩٥١ وكان من متخرجيها الاوائل فارسل في بعثة إلى فرنسا عام ١٩٥٢ حيث درس اللغة الفرنسية واتقنها واكمل دراسة الدكتوراه في العلوم السياسية عام ,١٩٥٥
بعد عودته إلى بغداد عين اكرم فاضل محققا عدليا لكن وضعه الصحي والثقافي الخاص لم يمكنه من مزاولة هذه المهنة فانتقل إلى وزارة الارشاد موظفا فيها ليعمل في مجلة (بغداد) التي كانت تصدر باللغة الفرنسية وليكتب الكثير عن التراث الشعبي العراقي وليترجم للقراء عددا من الكتب المهمة منها: لهجة بغداد العربية للمستشرق ماسنيون / والحياة في العراق منذ قرن / ثم كتاب المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب للمستشرق دوزي وهو اهم كتاب ترجمه اكرم فاضل. فصل الدكتور اكرم فاضل من وظيفته بعد انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ بسبب ارائه الديمقراطية المعارضة لفكر البعث ووضع في السجن مع عدد كبير من المفكرين والمثقفين ثم اطلق سراحه بعد ذلك واعيد تعيينه زمن عبد الرحمن محمد عارف في وزارة الاعلام مديراً للفنون الشعبية في الوزارة ورئيسا لتحرير مجلة بغداد التي كانت تصدر انذاك بالانكليزية والفرنسية وكان مشرفاً جاداً على السلسلة الفلكلورية التي اصدرتها الوزارة اضافة إلى جهده الثقافي المستمر فولكلوريا وادبيا فقد ترجم اكرم فاضل عن الفرنسية الكوميديا البشرية لبلزالز والاباء والبنون لتوركيذف ومأساة الشعب الجزائري بقلم عدد من الكتاب الفرنسيين واصدر ديوان في المقاهي والملاهي عام ١٩٧٥ واكتشف شخصية النحات الفطري الشهير منعم فرات ورعاه في مرضه وجنونه العبقري حتى مات وكتب اكرم فاضل دراسات فولكلورية متعددة في الصحف المحلية وفي مجلة التراث الشعبي في اللغة الشعبية وفي الشخصيات والمعابد والمساجد والصناعات الشعبية، وعندما تقاعد عن الوظيفة في نهاية الثمانينات ظل مخلصا لقضيته الثقافية الاساسية هي البحث في الفولكلور العراقي حتى انتقل اكرم فاضل إلى رحمة الله في السادس من اذار ١٩٨٧ بعد ان ترك الكثير من البحوث والتراجم وكان رائداً من رواد الثقافة الشعبية في بلادنا الحبيبة.

حمام (الحلو) في الخشب

بقايا قصر حاتم الطائي بقرية سميراء - السعودية

ناي الهة المراعي (بان)الروماني المتكون من انابيب خشبية ذات اطوال مرتبة على شكل هلال يجري ضبط نغماتها بادخال كمية محددة من الشمع في كل انبوب